قصص
الحيوان
في القرآن

الكَلْبُ النَّائِم

إعداد
الطاهرة عماري أحمد

رسوم
عبد المرضى عبيد

زهرة البستان
لثقافة الطفل

زهرة البستان

مدينة الشيخ زايد - الحي ١٦-المجاورة ٤ - عمارة ٦٤ - الجيزة - مصر

تليفون : ٠١١٤٤٤٥٥٢٠٠ (٢٠٢+) - فاكس : ٣٧٦٠٨٦٥٠ (٢٠٢+)

E.mail: Zahrtelbostan@outlook.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٢٨١٥ / ٢٠١٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978-977 - 6506 - 35 - 0

أَنَا الوَفِيُّ والصَّدِيقُ .. الأَمِينُ وَالرَّفِيقُ .. الصَّاحِبُ الصَّبُورُ.. أَفْضَلُ صَدِيقٍ للإِنْسَانِ .. وَحَارِسُهُ الأَمِينُ المُخْلِصُ .. دَرَجْتُ أَنَا وَقَوْمِي جَمِيعًا عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّفَانِي فِي العَمَلِ وَالوَفَاءِ لأَصْحَابِنَا. هَكَذَا خَلَقَنَا اللَّـهُ العَلِيُّ القَدِيرُ، وَأَنَا أَفْخَرُ بِانْتِمَائِي لِهَذَا الْجِنْسِ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّـهِ.

بِلا شَكٍّ قَدْ عَرَفْتُمُونِي .. أَنَا الكَلْبُ .. لَكِنِّي لَسْتُ كَبَاقِي أَقْرَانِي مِنْ بَنِي جِنْسِي .. أَنَا الْكَلْبُ الَّذِي أَرَادَ اللَّـهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ شَاهِدًا عَلَى مُعْجِزَةٍ، فَصِرْتُ ذَا ذِكرٍ وَخَبَرٍ وَشَأْنٍ عَظِيمٍ، وَكَرَّمَنِي اللَّـهُ بِذِكرِي فِى القُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ.

هَكَذَا كَانَ يَحْكِي أَحَدُ الكِلاَبِ هَذِهِ القِصَّةَ العَجِيبَةَ عَلَى لِسَانِ أَحَدِ أَجْدَادِهِ، وَتَوَارَثَتْ حَكْيَهَا الكِلابُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ.

الْتَفَّتِ الجِرَاءُ الصَّغِيرَةُ حَوْلَ الْجَدِّ تَنْتَظِرُ فِي لَهْفَةٍ أَنْ يَحْكِيَ لَهُمُ الحَادِثَةَ المُثِيرَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا..

ابْتَسَمَ الكَلْبُ الكَبِيرُ حِينَ رَأَى عَلامَاتِ الفُضُولِ وَالتَّرَقُّبِ عَلَى وَجْهِ الصِّغَارِ: هَيَّا يَا أَحْفَادِي نَرْجِعُ إِلَى الزَّمَنِ البَعِيدِ لأَحْكِيَ لَكُمْ أَحْدَاثَ هَذِهِ القِصَّةِ الْمُثِيرَةِ.

حِكَايَةُ الفِتْيَةِ

حَكَى جَدِّي قَائِلاً : كُنْتُ مَازِلْتُ جَرْوًا صَغِيرًا ، أَخْرُجُ مَعَ صَاحِبِي الَّذى يُمَاثِلُنِي تَقْرِيبًا فِي العُمْرِ لِيُدَرِّبَنِي عَلَى الصَّيدِ وَالقَنْصِ. كُنَّا نَقْضى النَّهَارَ فِى المُرُوجِ وَالْمَرَاعِي ثُمَّ نَعُودُ مَسَاءً.

كَمْ رأَيْتُ صَاحِبِي ينْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَذْكُرُ اللهَ كَثِيرًا .. تَعَجَّبْتُ مِنْ إِيمَانِه فِى هَذِه المَدِينَةِ الَّتى يَحْكُمُهَا حَاكِمٌ طَاغِيةٌ لَا يَعْرِفُ عِبَادَةَ اللهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ.. لَكِنِّي كُنْتُ أُوَحِّدُ اللَّهَ بِفِطْرَتِي الَّتِي خَلَقَنِي عَلَيْهَا وَأُسَبِّحُهُ .. وَأَسْلَمْتُ قَلْبِي للهِ.

فِى أَحَدِ الأَيَّامِ .. كُنَّا فِي رِحْلَةِ صَيدٍ قَصِيرَةٍ .. مَرَّ عَلَينَا فِتْيَةٌ يُهَرْوِلُونَ وَيَتَهَامَسُونَ وَعَلَى وُجُوهِهِم خَوْفٌ وَرُعْبٌ بَيِّنٌ . تَنَبَّهَ لَهُمْ صَاحِبِي .. طَمأَنَهُم بِأَنَّهُ لَنْ يُؤْذِيَهُم وَسَأَلَهُم عَنْ أَمْرِهِم .. رَدَّ عَلَيهِ أَكْبَرُهُمْ وَحَكَى حِكَايَتَهُمْ وَكَيْفَ اجْتَمَعُوا سَوِيًا : «نَحْنُ مِنْ أَبْنَاءِ سَادَةِ الرُّومِ وَقَدْ جَمَعَتْنَا صُدْفَةٌ عَجِيبَةٌ !

كَانَ الْيَومُ عِيدًا مِنْ أَعْيَادِ قَوْمِنَا يَحْتَفِلُونَ فِيهِ بِأَصْنَامِهِم وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا بِالذَّبَائِحِ.. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لا يَعْرِفُ الآخَرَ .. لَكِنَّهُ كَانَ يَنْفِرُ مِمَّا يَصْنَعُهُ قَوْمُهُ وَيُوَحِّدُ اللهَ فِى سِرِّه .. وَبَدَأْنَا وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ نَنْسَحِبُ مِنَ الاحْتِفَالِ الْعَظِيمِ.. وَنَتَهَرَّبُ مِنْ أَهْلِنَا وَنَتَنَحَّى جَانِبًا ..

جَلَسْتُ أَنَا تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ بَعِيدَةٍ .. وَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ ثَانِينَا .. ثُمَّ جَاءَ ثَالِثُنَا .. وَتَوَافَدْنَا وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ وَاجْتَمَعْنَا فِى ظِلِّ الشَّجَرَةِ .. لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَّا الآخَرَ، لَكِنَّ الإِيمَانَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ قُلُوبِنَا .. كَانَ كُلٌّ مِنَّا حَذِرًا يَكْتُمُ إِيمَانَهُ فِى صَدْرِهِ خَوْفًا مِنْ «دقيَانُوس» الحَاكِم الْكَافِرِ .. حَتَّى اطْمَأَنَّتْ قُلُوبُنَا لِبَعْضِنَا وَتَصَارَحْنَا بِالإِيمَانِ .. وَجَمَعَ بَيْنَنَا كَلِمَةُ الحَقِّ وَعِبَادَةُ التَّوْحِيدِ .

أَصْبَحْنَا إِخْوَةً .. وَاتَّخَذْنَا مَعْبَدًا لِنَعْبُدَ اللَّهَ فِيهِ .. لَكِنَّ قَوْمَنَا عَرَفُوا المَكَانَ فَوَشُوا بِأَمْرِنَا إِلَى مَلِكِهِم الجَبَّارِ العَنِيدِ «دقيَانُوس» .

وَاسْتَدْعَانَا المَلِكُ لِنَمْثُلَ بَيْنَ يَدَيهِ .. سَأَلَنَا عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَادِّعَاءِ قَوْمِنَا عَلَينَا. لَمْ نُنْكِرْ إِيمَانَنَا وَالدَّعْوَةَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . هَدَّدَنَا المَلِكُ الكَافِرُ وَتَوَعَّدَنَا بِالشَّرِّ إِذَا لَمْ نَرْجِعْ إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ .. لَكِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا بِنَا وَأَرَادَ لَنَا النَّجَاةَ، فَجَعَلَ المَلِكُ الظَّالِمُ يُؤَجِّلُ النَّظَرَ فِي أَمْرِنَا إِلَى الغَدِ .. حَتَّى يُلْهِمَنَا اللهُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ هُرُوبِنَا .

لَمْ نَجِدْ أَمَامَنَا سُوَى أَنْ نَفِرَّ مِنَ المَدِينَةِ خَوْفًا مِنَ المَلِكِ الكَافِرِ وَحَتَّى لاَنُفْتَنَ فِى إِيمَانِنَا .

فَخَرَجْنَا فَارِّينَ مفَارِقِينَ بُيُوتَنَا مُهَاجِرِينَ بِدِينِنَا. وَقُلُوبُنَا مُطْمَئِنَّةٌ إِلَى الحَقِّ الَّذِي عَرَفْنَاهُ مُعْتَزِّينَ بِالإِيمَانِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لَنَا .. وَهَذِهِ هِيَ حِكَايَتُنَا».

الهُرُوبُ مِنَ المَدِينَةِ

لَـمَّا سَمِعَ صَاحِبي قِصَّتَهُم أَعْلَنَ لَهُمْ إِيمَانَهُ هُوَ أَيضًا ، وَطَلَبَ مِنْهُم أَنْ يَصْحَبَهُم إِلَى حَيْثُ يَذْهَبُونَ وَيُشَارِكَهُم رِحْلَتَهُم .. رَافَقَهُمْ صَاحِبي وَأَنَا أَتْبَعُهُ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا أَصْحَابِي.. وَكَانَ يَجْمَعُنَا جَمِيعًا الإِيمَانُ بِاللهِ الْعَلِيِّ العَظِيمِ..

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

سَارَ أَصْحَابِي طَوِيلاً حَتَّى وَصَلُوا إِلى جَبَلٍ، حَيْثُ هَدَاهُم اللـهُ إِلَى كَهْفٍ غَائِرٍ فِى أَعْمَاقِ الجَبَلِ .. فَكَانَ المَكَانُ وَالمَلاذ الآمِنُ لِيَخْتَبِئُوا فِيهِ .. أَمَّا أَنَا فَرَبَضْتُ أَمَامَ الكَهْفِ لأَقُومَ بِوَاجِبِى فِى حِرَاسَتِهِم وَتَنْبِيهِهِم بَاسِطًا ذِرَاعِى أَمَامِي كَعَادَتِنَا نَحْنُ الْكِلاب .

وَبِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ إِذَا بِالْكَهْفِ الضِّيِّقِ المُظْلِمِ .. يُصْبِحُ فَضَاءً فَسِيحًا تَزُولُ مِنْهُ الوَحْشَةُ وَتَكْسُوهُ رَحْمَةُ اللهِ وَرَخَاؤُهُ.

لا أَعْرِفُ مَا الَذِي حَدَثَ لِى، وَكَيْفَ جَاءَنِي النَّوْمُ سَرِيعًا، وَسَيْطَرَ عَلَىَّ حَتَّى رُحْتُ فِى سُبَاتٍ عَمِيقٍ، مَاذَا حَدَثَ لِى؟ كَانَ نَوْمِي مِنْ قَبْلُ خَفِيفًا جِدًا.. حَتَّى كُنْتُ أَنْتَبِهُ لأَقَلِّ صَوْتٍ .. هَذِهِ هِيَ المَوْهِبَةُ الَّتِي مَنَحَهَا اللـهُ لِي لأُؤَدِّيَ وَاجِبِي فِى حِرَاسَةِ أَصْحَابِي .. لَكِنِّي فِى هَذِهِ المَرَّةِ نِمْتُ بِعُمْقٍ شَدِيدٍ وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَا حَوْلِى، وَلاَ حَتَّى بِأَصْحَابِي دَاخِلَ الكَهْفِ الَّذِينَ اسْتَلْقُوا عَلَى

الأَرْضِ لِيَرْتَاحُوا مِنْ عَنَاءِ الْـمَسِيرِ، فَرَاحُوا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .

وَتَعَاقَبَ لَيلٌ بَعْدَ لَيلٍ وَنَهَارٌ وَرَاءَ نَهَارٍ ، وَمَضَتْ شُهُورٌ وَأَعْوَامٌ عَلَى نَوْمِي وَنَوْمِ أَصْحَابِي .. كَانَتِ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَدْخُلُ الكَهْفَ مِنْ نَاحِيَةِ اليَمِينِ، وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ تَمُرُّ عَلَيهِم مِنْ نَاحِيَةِ اليَسَارِ، وَبِأَمْرِ اللهِ تَمِيلُ الشَّمْسُ عَنْهُمْ كَأَنَّهَا مُتَعَمِّدَةٌ أَلاَّ تَقْتَرِبَ مِنْهُم بِضَوْئِهَا، حَتَّى لَا تُقْلِقَ نَوْمَهُمْ وَلا تَنَالَهُم بِأَشِعَّتِهَا وَحَرَارَتِهَا، حَتَّى لا تَحْرِقَ أَبْدَانَهُم وَمَلابِسَهُم .. وَكَانَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ يَجْعَلُهُم يَتَقَلَّبُونَ عَلَى جُنُوبِهِم يَمِينًا وَيَسَارًا حَتَّى لَا يُصِيبَهُم القَرْحُ مِنْ نَوْمِهِم عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾

السُّبَاتُ العَمِيقُ

أَرسَلَ المَلِكُ «دقيانُوس» جُنُودَهُ لِيَبْحَثُوا عَنْ أَصْحَابِي الفِتْيَةِ المُؤْمِنِينَ فِى كُلِّ مَكَانٍ .. وَرُبَّمَا مَرَّ الجُنُودُ بِكَهْفِنَا المُنْعَزِلِ، لَكِنَّ اللهَ أَعْمَى عُيُونَهُم عَنَّا فَلَمْ يَظْفَرُوا بِنَا .. حَتَّى يَئِسُوا فَعَادُوا إِلَى بَلْدَتِهِم، وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ أَصْحَابِي قَدْ هَلَكُوا .

وَمَرَّتِ السِّنُونَ تِلْوَ السِّنِينَ وَأَنَا وَأَصْحَابِى نِيَامٌ لا نَشْعُرُ .. لانَمُوتُ ولا نَتَحَرَّكُ ولا نَسْتَيقظُ، يَحْسَبُنَا مَنْ يَرَانَا أَيْقَاظًا وَنَحْنُ نِيَامٌ.

وَفِى الصَّبَاحِ التَّالِى .. اسْتَيْقَظَ الجَدُّ عَلَى جَذْبٍ خَفِيفٍ لِذَيلِه .. كَانَ أَحَدُ الجِرَاءِ الصَّغِيرَةِ يُوقِظُهُ وَيُلِحُّ عَلَيهِ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الحِكَايَةَ .. وَبَدَأَ الكَلْبُ الكَبِيرُ يَحْكِى مِنْ جَدِيدٍ فتَجَمَّعَتِ الجِرَاءُ الصَّغِيرَةُ مِنْ حَوْلِه .. لِتَسْتَمِعَ إِلَى بَاقِي الحِكَايَةِ المُثِيرَةِ ، فَقَالَ : يَقُولُ جَدِّى الكَلْبُ : أَخِيرًا اسْتَيْقَظْتُ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ النَّوم .. تَثَاءَبْتُ فِى كَسَلٍ كَمَا لَوْ كُنْتُ قَدْ أَفَقْتُ مِنْ قَيْلُولَةٍ قَصِيرَةٍ .. دَخَلْتُ الكَهْفَ لأَطُلَّ عَلَى أَصْحَابِي .. تَأَمَّلْتُهُم .. يا إِلَهِي لَقَدْ تَغَيَّرَ شَكْلُ أَصْحَابِي كَثِيرًا .. طَالَتْ شُعُورُهُم وَكَثَّتْ لِحَاهُم حَتَّى أَصْبَحَ شَكْلُهُم مُخِيفًا مُرْعِبًا .. لا بُدَّ أَنّ حِكْمَةَ اللهِ كَانتْ تَقْتَضِي هَذَا حَتّى .. لايَدْنُوَ مِنْهُم أَحَدٌ إِلَى أَنْ يَشَاءَ اللهُ أَنْ يَسْتَيقِظُوا .

وَفَجْأَةً .. دَبَّتْ فِي أَصْحَابِى الْحَيَاةُ .. وَبُعِثُوا مِنْ رَقْدَتِهِم الطَّوِيلَةِ كَمَا هُمْ بِأَجْسَادِهِم وَحَوَاسِّهِم كَامِلَةً ..

اسْتَيْقَظَ أَصْحَابِي وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كَمْ لَبِثُوا مُنْذُ أَدْرَكَهُمُ النُّعَاسُ. يَفْرُكُونَ أَعْيُنَهُم وَيَتَثَاءَبُونَ .. يَلْتَفِتُ صَاحِبِي إِلَى الآخَرِينَ فَيَسْأَلُ كَمْنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَومٍ طَوِيلٍ: تُرَى كَمْ ظَلِلْنَا نَائِمِينَ؟ فَيَرُدُّ عَلَيهِ أَصْحَابُهُ: لَقَدْ دَخَلْنَا الْكَهْفَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَقَدِ اسْتَيقَظْنَا وَالشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ .. رُبَّمَا نِمْنَا يَوْمًا كَامِلاً أَوْ جُزْءًا مِنَ الْيَومِ .

وَلَمَ يَطُلِ النِّقَاشُ فِي الأَمْرِ كَثِيرًا .. فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ أَهَمُّ يَشْغَلُ بَالَهُم.. بَعْدَ كُلِّ هَذَا النَّوْمِ الطَّوِيلِ كَانُوا جَوْعَى وَكُنْتُ جَائِعًا جِدًا .. كَانَ لَابُدَّ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ لِيَشتَرِيَ طَعَامًا نَأْكُلُهُ جَمِيعًا .. هَا هُوَ صَاحِبِي يُخْرِجُ مِنْ جَيبِهِ صُرَّةً مِنَ النُّقُودِ الفِضِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ حِينَ خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ، إِنَّهُ مَبْلَغٌ كَبِيرٌ . سَيَخْرُجُ لِيَشْتَرِيَ لَنَا أَطْيَبَ طَعَامٍ فِي المَدِينَةِ لِنَأْكُلَ مِنْهُ.

لَكِنَّهُم أَوْصُوا صَاحِبِي أَنْ يَتَخَفَّى وَيَكُونَ حَذِرًا حَتَّى لا يَنْكَشِفَ أَمْرُهُم فَيَعْرِفَ الْحَاكِمُ الظَّالِمُ مَكَانَهُم ،
وَيَقْتُلَهُم أَوْ يُعَذِّبَهُم لِيَتْرُكُوا
عِبَادَةَ التَّوْحِيدِ.

المَدِينَةُ الْعَجِيبَةُ

خَرَجْتُ مَعَ صَاحِبِي وَمَشَيْنَا تِجَاهَ المَدِينَة . كُنْتُ أَنَا وَصَاحِبِى خَائِفَينِ حَذِرَين . .

لَكِـنْ مَـا هَذَا ؟ ! مَاكُلُّ هَـذَا التَّغْيِيرِ الَّذِي طَرَأَ عَلَى المَدِينَـة ؟ ! . . هَلْ هَذِهِ حَقًا مَدِينَتُنَا الَّتِى تَرَكْنَاهَا لَيْلَةَ أَمْس ؟ ! . . لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ مَعَالِمِ الْبَلْدَةِ الَّتِي نَحْفَظُهَا . . وَلَمْ نَعُدْ نَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْـمَدِينَةِ الْغَرِيبَةِ . . تَسَاءَلَ صَاحِبِي فِي نَفْسِهِ : أَيَحْدُثُ هَذَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَضُحَاهَا ؟ !

كُنْـتُ أَنَا وَصَاحِبِـي لَا نُدْرِكُ أَنَّ أَعْوَامًـا طَوِيلَةً قَدْ مَضَـتْ ، وَأَنَّ أَجْيَالاً قَدْ تَعَاقَبَـتْ وَقَدْ تَغَيَّرَتِ البِـلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ الحَاكِمَ الظَّالِمَ «دقيَانُوس» الَّذِي كُنَّا نَخْشَاهُ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ وَمَاتَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ . . وَتَحَيَّرَ صَاحِبِي وَارْتَبَكَ . .

مَـرَرْتُ خَلْفَ صَاحِبِي فِى الْمَدِينَةِ . . وَرَآهُ النَّاسُ فَنَظَرُوا إِلَيهِ مُنْدَهِشِـينَ مِنْ هَيْئَتِـهِ الْعَجِيبَةِ وَمَلَابِسِـهِ الْغَرِيبَةِ وَشَـعْرِهِ الطَّوِيلِ . . وَهُوَ يَنْدَهِـشُ مِنْهُمْ وَمِمَّا حَوْلَهُ . . يَا لِلْحَيرَةِ ! ! رُبَّمَا شَـكَّ صَاحِبِي بِعَقْلِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَسَّهُ الْجُنُونُ . . أَوْ رُبَّمَا كَانَ هَذَا حُلْمًا عَجِيبًا !

وَلَكِـنَّ صَاحِبِي أَسْـرَعَ لِيَشْـتَرِيَ الطَّعَـامَ حَتَّى يَرْحَـلَ سَـرِيعًا لأَصْحَابِنَا وَيُخْبِرَهُمْ بِمَا رَأَى .

أَخْرَجَ صَاحِبِي مَا مَعَهُ مِنْ نُقُودٍ وَدَفَعَ بِهَا إِلَى الْبَائِعِ لِيُعْطِيَهُ الطَّعَامَ . . لَكِنَّ الْبَائِـعَ كَانَ يَسْـتَغْرِبُ مَظْهَرَ صَاحِبِي وَنَظَرَ إِلَيهِ مُتَعَجِّبًـا وَهُوَ يَنْقُلُ نَظَرَهُ بَيْـنَ النُّقُـودِ وَبَيْنَ وَجْهِهِ . . قَـالَ الْبَائِعُ لِصَاحِبِي : أَيُّهَا الرَّجُلُ الغَرِيبُ ، مِنْ أَيْنَ لَكَ بِهَذِهِ النُّقُودِ الأَثَرِيَّةِ ؟ إِنَّهَا مَنْقُوشٌ عَلَيْهَا صُورَةُ المَلِكِ الظَّالِمِ «دقيَانُوس» الَّذِي أَبَـادَ اللـهُ مُلْكَهُ . . لا شَـكَّ أَنَّكَ قَدْ عَثَـرْتَ عَلَى كَنْزٍ قَدِيمٍ . . فَهَـذِهِ النُّقُودُ قَدْ مَضَى عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلاثِمَائَةِ عَامٍ .

ثَلاثِمائَةِ عَام ؟!! كَيْفَ هَذَا ؟! لَقَدْ تَرَكْنَا المَدِينَةَ لَيْلَةَ أَمْسِ وَكَانَ «دقيَانُوس» لا زَالَ حَاكِمَهَا ؟

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾

تَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِي .. وَرَأَيْتُ عَلاَمَاتِ الدَّهْشَةِ عَلَى وَجْهِ صَاحِبِي.. قَطَعَ تَفْكِيرِى صَوتُ البَائِعِ وَقَدْ تَجَمَّعَ النَّاسُ حَوْلَهُ يَقُولُ : لا بُدَّ أَنْ نَصْحَبَكَ لِلْمَلِكِ «تِيدُوسِيس» ، فَمَظْهَرُكَ غَرِيبٌ وَتَصَرُّفَاتُكَ مُرِيبَةٌ .

المُعْجِزَةُ

دَخَلَ صَاحِبِي عَلَى الْمَلِكِ وَأَنَا أَتْبَعُهُ، سَأَلَهُ المَلِكُ قَائِلاً : أَيُّهَا الرَّجُلُ الغَرِيبُ، مَنْ أَنْتَ ؟ وَكَيْفَ وَجَدْتَ هَذِهِ النُّقُودَ الأَثَرِيَّةَ الْقَدِيمَةَ ؟

سَأَلَ صَاحِبِي وَهُوَ مَازَالَ فِى دَهْشَتِهِ : أَيْنَ الْمَلِكُ «دقيَانُوس» ؟

أَجَابَهُ المَلِكُ : أَنَا المَلِكُ «تِيدُوسِيس» .. لَقَدْ مَاتَ «دقيَانُوس» عَلَى ضَلاَلِهِ مُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاثِمَائَةِ عَـام.. والآنَ فَنَحْنُ جَمِيعًا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَلا نُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا . مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا هِيَ حِكَايَتُكَ ؟

قَصَّ صَاحِبِي عَلَى المَلِكِ حِكَايَتَنَا مُنْذُ أَنْ صَحِبْنَا الفِتْيَةَ المُؤْمِنِينَ فِرَارًا مِنْ جُنُودِ «دقيانُوس» وَحَتَّى هَذِهِ اللحْظَةِ .

لَمْ يُصَدِّقِ المَلِكُ «تِيدُوسِيس» مَا سَمِعَ، كَانَتِ المُعْجِزَةُ عَظِيمَةً حَقًّا .. وَقَالَ لِصَاحِبِي : إِذَنْ أَنْتُمُ الفِتْيَةُ الْـمُؤمِنُونَ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِم مِنَ المَلِكِ الظَّالِمِ «دقيانوس» وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُمْ طَرِيقًا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ قُرُونٍ .. لَقَدْ ظَنَّ النَّاسُ وَقْتَهَا أَنَّكُم قَدْ مُتُّمْ وَتَضارَبَتِ الأَقَاوِيلُ حَوْلَكُم .. لَكِنَّ اللَّـهَ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُكُم مُعْجِزَةً فَرِيدَةً وَشَاهِدًا عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ .

وَرَبَّتَ الْـمَلِكُ عَلَى رَأْسِي بِحُنُوٍّ قَائِلاً : أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الكَلْبُ فَأَنْتَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، فَقَدِ اصْطَفَاكَ اللـهُ مِنْ بَنِي جِنْسِكَ .. وَجَعَلَكَ صَاحِبًا لِهَؤُلاءِ الفِتْيَةِ المُؤْمِنِينَ وَشَاهِدًا عَلَى مُعْجِزَتِهِم الْفَرِيدَةِ .

عِبْرَةُ الخَاتِمَةِ

اسْتَكْمَلَ جَدِّي حِكَايَتَهُ قَائِلاً : لَقَدْ بَعَثَنِي اللهُ وَأَصْحَابِي وَاطَّلَعَ النَّاسُ عَلَى حِكَايَتِنَا لِيُرِيَهُم مُعْجِزَةَ الْبَعْثِ وَإِحْيَاءِ المَوْتَى .. وَبَعْدَ أَنْ ثَبَتَتِ المُعْجِزَةُ وَاسْتَيقَنَتْ قُلُوبُ أَهْلِ المَدِينَةَ أَصْبَحْنَا فِي نَظَرِ النَّاسِ أُعْجُوبَةً عَظِيمَةً. لَقَدْ أَصْبَحنَا ذِكْرَى وَشَاهِدًا لِلعَهْدَ البَائِدِ .. جُزْءًا مِنَ التَّارِيخِ.. انْقَطَعَ كُلُّ مَا كَانْ يَرْبِطُنَا بِجِيلِنَا مِنْ قَرَابَاتٍ وَمُعَامَلاتٍ وَمَشَاعِرَ وَعَادَاتٍ وَتَقَالِيدَ، بَعْدَ أَنْ مَاتَ كُلُّ أَقَارِبِنَا وَأَحْبَابِنَا وَأَصْدِقَائِنَا.. حَتَّى أَنَا لَمْ أَجِدْ وَالِدِي وَوَالِدَتِي وَأَقْرَانِي مِنَ الكِلابِ الصَّغِيرةِ الَّتِي كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَهَا .

لَكِنَّ اللهَ كَانَ بِنا رَحِيمًا فَقَبَضَ رُوْحِي وَرُوْحَ أَصْحَابِي حَتَّى يَرْحَمَنَا مِنْ غُرْبَتِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، تَوَفَّانَا اللهُ حَتَّى لاَ يُفْتَنَ بِنَا قَوْمُنَا بِأَنَّنَا نَعِيشُ أَبَدَ الدَّهْرِ، فَلِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلٌ، وَلاَ بُدَّ لَهَا أَنْ تَمُوتَ.